المبحث الرابع

مناسبة الفاصلة القرآنية للسياق النسقي

إنّ المعنى هو السيد في التعبير القرآني، وأصبح من المعلوم أنّ السياق له دور كبير في استجلاء المعنى الدلالي للآيات والسور، والقرآن الكريم يعنى بالانسجام الموسيقي في الفواصل القرآنية داخل معاني السياق، والفواصل تدور في فلك المعنى لا العكس، مهما تنوعت أبنية الفاصلة، كلّ ذلك طلباً للمعنى[1]، وفواصل الآي الكريم تتعلق بمضمون الآية وتتناسب مع سياق نظمها، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، فاختلاف الفاصلة القرآنية تبعاً لاختلاف مضمونها وسياقها الخاص[2].

ومناسبة الفاصلة القرآنية للسياق النسقي لا يقتصر على التنغيم والإيقاع والجرس الصوتي فقط، بل يكون في استجلاء الفهم القريب، وسرعة الحفظ لآيات القرآن الكريم، فضلاً عن التأثير الدعوي وإثارة النفس في إيجاز الفاصلة والشد والتحمس لما نزل من الذكر، مع راحة النفس والطمأنينة في الآي الطوال، فاطّراد الفاصلة في القرآن الكريم كلّه لم يأتِ اعتباطاً بل لعلّة وحكمة إلهية مرتبطة بسياق النصوص القرآنية ونسقها، وسياق السورة بصورة عامة.

فتناسب الفاصلة وأبنيتها المختلفة من مد وسكون وتتابع إيقاع أو اختلاف مع السياق يتناسب تناسقياً مع مقادير ما في النفس البشرية، هذا كلّه بإيراد المعنى المطلوب؛ لأنّ إيقاع القرآن الكريم مرتبط مع حالات النفس

---

(١) ينظر: من أسرار البيان القرآني: ١٦٣؛ وينظر: البناء اللغوي في الفواصل القرآنية: ١٧.

(٢) ينظر: جماليات السياق القرآني: ١٠٥.

وانفعالاتها، وهو أربى إلى الغاية تعبيراً وتأثيراً[1].

ومن المعلوم فإنّ الفاصلة يشيع إطلاقها عند أرباب الدراسات القرآنية على آخر كلمة تختم بها الآية[2]، ومن أمثلة مناسبة الفاصلة للسياق، قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[3].

وقال تعالى في سورة الهمزة: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾[4]، فقال تعالى في القارعة: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾، وقال تعالى في الهمزة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴾.

فجاء بالضمير في سورة القارعة و لم يقل: (وما أدراك ما الهاوية)، وكرر الاسم الظاهر في سورة الهمزة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴾، و لم يقل: (وما أدراك ما هيه) كما قال في القارعة. وهذا تعبير مناسب لخواتم الآي في السور، وهو يقتضي الوجه البلاغي أيضاً، إذ إنّ الاسم الظاهر أقوى من المضمر، وإنّ وصف النار في سورة الهمزة أشد وأكثر تفصيلاً ممّا هو في سورة القارعة، ففي القارعة لم يزد على قوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾.

أمّا في الهمزة أضاف النار إلى الله، ووصفها بأنَّها موقدة، وأنَّها تطّلع

---

(١) ينظر: ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم: ٤١١.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٥٠؛ والإتقان في علوم القرآن: ٣/٢٩٠.

(٣) سورة القارعة: ٨-١١.

(٤) سورة الهمزة: ٤-٩.

على الأفئدة أي: تنفذ إليها وتعلوها، وأنَّها عليهم مؤصدة وأنَّها في عمدٍ ممددة، فذكر من أوصافها ما لم يذكره في القارعة، فناسب ذلك إعادة الظاهر للتهويل والتعظيم إضافة إلى مناسبة الفاصلة[1].

فناسب حسن إيجاز مقطع الآية تناسق ونسق جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في موضعها، فكانت لائقة بما تقدمها من ألفاظ ومستقرة ومتمكنة في موضعها، موافقة للسياق[2].

واندمج الترتيب والتهذيب للفواصل مع بيان المعنى وحصل الائتلاف مع السياق من حصول الترتيب وجمالية النسق القرآني[3].

(١) ينظر: من أسرار البيان القرآني: ١٦٧، ١٦٨.

(٢) ينظر: الصناعتين: ٤٤٥، ٤٤٨.

(٣) ينظر: تحرير التحبير: ١٨٧.